بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة ق مكية

قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ .

الكلام في **﴿قٓ والقرآن المجيد * بل عجبوا﴾** نحوه في صٓ والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد. والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته.

قوله: **﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾** إنكار لتعجبهم مما ليس يعجب، وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته، ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحًا لقومه مترفرفًا عليهم خائفًا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه. وإذا علم أنّ مخوفًا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم، فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بدّ من الجزاء. ثم عول على أحد الإنكارين بقوله تعالى: **﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا﴾** دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار، ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم. وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع **﴿ذلك رجع بعيد﴾** مستبعد مستنكر، كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله، ومعناه بعيد من الوهم والعادة، ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى استبعادًا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن. وقرىء إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه: إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد.

فإن **قُلْتَ:** فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع؟ **قُلْتُ:** ما دلّ عليه المنذر من المنذر به وهو البعث.

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾

﴿قد علمنا﴾ ردّ لاستبعادهم الرجع، لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرًا على رجعهم أحياء كما كانوا. عن النبي ﷺ: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب»[1] وعن السدي: **﴿ما تنقص الأرض منهم﴾** ما يموت فيدفن في الأرض منهم **﴿كتاب حفيظ﴾** محفوظ من الشياطين ومن التغير. وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾.

﴿بل كذبوا﴾ إضراب اتبع الإضراب الأوّل للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات في أوّل وهلة من غير تفكر ولا تدبر **﴿فهم في أمر مريج﴾** مضطرب. يقال: مرج الخاتم في اصبعه وجرج، فيقولون تارةً شاعر وتارةً ساحر وتارةً كاهن لا يثبتون على شيء واحد. وقرىء لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي: عند مجيئه إياهم، وقيل: الحق القرآن. وقيل: الإخبار بالبعث.

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾.

﴿أفلم ينظروا﴾ حين كفروا البعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم **﴿بنيناها﴾** رفعناها بغير عمد **﴿من فروج﴾** من فتوق يعني: أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى: **﴿هل ترى من فطور﴾**[2].

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾.

﴿مددناها﴾ دحوناها **﴿رواسي﴾** جبالاً ثوابت لولا هي لنكفات **﴿من كل زوج﴾** من كل صنف **﴿بهيج﴾** يبتهج به لحسنه.

تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾.

﴿تبصرة وذكرى﴾ لتبصر به وتذكر كل **﴿عبد منيب﴾** راجع إلى ربه مفكر في بدائع خلقه. وقرىء تبصرة وذكرى بالرفع أي: خلقها تبصرة.

وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾.

﴿ماء مباركًا﴾ كثير المنافع **﴿وحب الحصيد﴾** وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير تفسير سورة الزمر، باب: ﴿ونفخ في الصور﴾ (الحديث رقم: 4814) ومسلم في الفتن، باب: ما بين النفختين.

(2) سورة الملك، الآية: 3.

وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾.

﴿باسقات﴾ طوالاً في السماء. وفي قراءة رسول الله ﷺ باصقات بإبدال السين صادًا لأجل القاف ﴿نضيد﴾ منضود بعضه فوق بعض. إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر.

رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾.

﴿رزقًا﴾ على أنبتناها رزقًا لأنّ الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي: أنبتناها لنرزقهم ﴿كذلك الخروج﴾ كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم، والكاف في محل الرفع على الابتداء. أراد بفرعون قومه كقوله تعالى:

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾.

﴿من فرعون وملئهم﴾[1] لأنّ المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾.

﴿كل﴾ يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم. إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى ﴿فحق وعيد﴾ فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم.

أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾.

عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله، والهمزة للإنكار والمعنى: أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأوّل حتى نعجز عن الثاني. ثم قال: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل، واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة. ﴿بل هم في لبس﴾ أي: في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم. ومنه قول علي رضي الله عنه: يا حار، إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة. فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر.

فإن قُلْتَ: لم نكر الخلق الجديد[2] وهلا عرف كما عرف الخلق الأول؟ **قُلْتُ:** قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾.

الوسوسة الصوت الخفي، ومنها وسواس الحلي، ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس. والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به، ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان أي: ما تجعله موسوسًا وما مصدرية لأنهم يقولون: حدث نفسه بكذا. كما يقولون: حدثته به نفسه. قال: وأكذب النفس إذا حدثتها ﴿ونحن أقرب إليه﴾ مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقًا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكأن ذاته قريبة منه كما يقال:

الله في كل مكان وقد جل عن الأمكنة ... وحبل الوريد مثل في فرط القرب

كقولهم:

هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار

وقال ذو الرمة:

والموت أدنى لي من الوريد ... والحبل العرق شبه بواحد الحبال

ألا ترى إلى قوله: كأن وريديه رشا آخلب، والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدّمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه، وقيل: سمي وريدًا لأنّ الروح ترده.

فإن قُلْتَ: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ **قُلْتُ:** فيه وجهان: أحدهما أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير سانية. والثاني أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد. كما لو قيل حبل العلياء مثلاً.

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾.

---

(1) سورة يونس، الآية: 83.

(2) قال أحمد: هذا كلام كما تراه غير منتظم، والظاهر أنه لفساد في النسخة، والذي يتحرّر في الآية وهو مقتضى تفسير الزمخشري، أنّ فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الأوّل، ونكر اللبس والخلق الجديد، فاعلم أنّ التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه، ومنه تعريف الذكور في قوله: ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ ولهذا المقصد عرّف الخلق الأوّل؛ لأنّ الغرض جعله دليلاً على إمكان الخلق الثاني بطريق الأولى، إذا لم يعي تعالى بالخلق الأوّل على عظمته، فالخلق الآخر أولى أن لا يعيا به، فهذا سر تعريف الخلق الأوّل، وأما التنكير فأمره منقسم، فمرّة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الإبهام، كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة، ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه، = وعلى الأوّل ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ وقوله: ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم وإنّ المتقين في جنات ونعيم﴾ وقوله: ﴿بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وهو أكثر من أن يحصى، والثاني: هو الأصل في التنكير، فلا يحتاج إلى تمثيله، فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم، كأنه قال: في لبس، أي: وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لأمره بالنسبة إلى الخلق الأوّل، يحتمل أن يكون للتفخيم، وكأنه أمر أعظم من أن يرضي الإنسان بكونه ملتبساً عليه، مع أنه أوّل ما تبصر فيه صحته، ولعل إشارة الزمخشري إلى هذا والله أعلم، فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة، فإن يكن هو ما أراده الزمخشري فذاك، وإلا فالعق العسل ولا تسل.

﴿إذ﴾ منصوب باقرب وساغ ذلك لأنّ المعاني تعمل في الظرف متقدّمة ومتأخرة والمعنى: أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس، وما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذانًا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه، وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات. وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد، وعلم العبد بذلك مع علمه بإحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات. وعن النبي ﷺ: «إنّ معقد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما»[1]. ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانًا للقرب يعني: ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه، إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة. والقعيد القاعد كالجليس بمعنى المجالس، وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين. فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾.

﴿رقيب﴾ ملك يرقب عمله ﴿عتيد﴾ حاضر. واختلف فيما يكتب الملكان فقيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر به. ويدل عليه قوله عليه السلام: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل. وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر». وقيل: إنّ الملائكة يجتنبون الإنسان عند غائطه وعنه جماعة. وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول. لما ذكر إنكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه، أعلمهم أنّ ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبّه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله:

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾.

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ ونفخ في الصور. وسكرة الموت شدّته الذاهبة بالعقل، والباء في بالحق للتعدية يعني: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله، أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق له الإنسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها في قوله: تنبت بالدهن أي وجاءت ملبسةً بالحق أي: بحقيقة الأمر أو بالحكمة. والغرض الصحيح كقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾[2] وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما: سكرة الحق بالموت على إضافة السكرة إلى الحق والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له وأنها حكمة، والباء للتعدية لأنها سبب زهوق الروح لشدتها أو لأنّ الموت يعقبها فكأنها جاءت به. ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت. وقيل: سكرة الحق سكرة الله أضيفت إليه تفظيعًا لشأنها وتهويلاً. وقرئ سكرات الموت: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الموت والخطاب للإنسان في قوله: ولقد خلقنا الإنسان على طريق الالتفات أو إلى الحق والخطاب للفاجر ﴿تحيد﴾ تنفر وتهرب. وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال: الخطاب لرسول الله ﷺ. فحكاه صالح بن كيسان فقال: والله ما سنّ عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر. ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال: أخالفهما جميعًا هو للبر والفاجر.

وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾.

﴿ذلك يوم الوعيد﴾ على تقدير حذف المضاف أي: وقت ذلك يوم الوعيد والإشارة إلى مصدر نفخ.

وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾.

﴿سائق وشهيد﴾ ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد عليه بعمله. أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل: معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة.

لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾.

قرئ: لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أي: يقال لها: لقد كنت. جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئًا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصر من الحق. ورجع بصره الكليل عن الأبصار لغفلته حديدًا لتيقظه.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾.

﴿وقال قرينه﴾ هو الشيطان الذي قيض له في قوله: نقيض له شيطانًا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى: ﴿قال قرينه﴾ ربنا ما أطغيته ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم. والمعنى: أن ملكًا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانًا مقرونًا به يقول: قد اعتدته لجهنم وهيئته لها بإغوائي وإضلالي.

---

(1) رواه الثعلبي في تفسيره والزيلعي 3/358.

(2) سورة الأنعام، الآية: 73.

فإن قُلْتَ: كيف إعراب هذا الكلام؟ **قُلْتُ:** إن جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها، وإن جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف.

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾.

﴿ألقيا﴾ خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد، ويجوز أن يكون خطابًا للواحد على وجهين: أحدهما قول المبردان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كأنه قيل: ألق ألق للتأكيد، والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وقفا وأسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين. عن الحجاج أنه كان يقول: يا حوسى اضربا عنقه. وقرأ الحسن: ألقين بالنون الخفيفة. ويجوز أن تكون الألف في ألقيا بدلاً من النون إجراءً للوصل مجرى الوقف. **﴿عنيد﴾** معاند مجانب للحق معاد لأهله.

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾.

﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه، جعل ذلك عادةً له لا يذل منه شيئًا قط أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله يحول بينه وبينهم. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الإسلام وكان يقول: من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت. **﴿معتد﴾** ظالم متخط للحق **﴿مريب﴾** شاكٍ في الله وفي دينه.

ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾.

﴿الذي جعل﴾ مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء. ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبًا بدلاً من كل كفار ويكون **﴿فألقياه﴾** تكريرًا للتوكيد.

فإن قُلْتَ: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى؟ **قُلْتُ:** لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون.

فإن قُلْتَ: فأين التقاول ههنا؟ **قُلْتُ:** لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد، وتبعه قوله: قال قرينه ربنا ما أطغيته. وتلاه لا تختصموا لدي علم أنّ ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كأنه قال: رب هو أطغاني فقال قرينه: ربنا ما أطغيته وأمّا الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين.

وقول قرينه ما قال له: **﴿ما أطغيته﴾** ما جعلته طاغيًا وما أوقعته في الطغيان. ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[1].

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

﴿قال لا تختصموا﴾ استئناف مثل قوله: قال قرينه: كأن قائلاً قال: فماذا قال الله، فقيل: قال: لا تختصموا. والمعنى: لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته، وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجةً علي. ثم قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به. **﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾** فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب. والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدّم، ويجوز أن يقع الفعل عل جملة قوله: ما يبدّل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالاً أي: قدّمت إليكم هذا ملتبسًا بالوعيد مقترنًا به، أو قدّمته إليكم موعدًا لكم به.

فإن قُلْتَ: إنّ قوله: وقد قدّمت إليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب! **قُلْتُ:** معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدّمت إليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة.

فإن قُلْتَ: كيف قال بظلام على لفظ المبالغة؟[2] **قُلْتُ:** فيه وجهان: أحدهما أن يكون من قولك: هو ظالم لعبده وظلام لعبيده، والثاني أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلامًا مفرط الظلم فنفى ذلك.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾.

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 22.

(2) قال أحمد: وذكر فيه وجهان آخران، أحدهما: أن فعالاً قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه، الثاني: أنّ المنسوب في المعتاد إلى الملوك من الظلم تحت ظلمهم، إن عظيماً فعظيم وإن قليلاً فقليل، فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قدّس ذاته عما يتوهم مخذول، والعياذ بالله أنه منسوب إليه من ظلم تحت شمول كل موجود، ولقد بدّل القدرية فتوهموا أنّ الله تعالى لم يأمر إلا بما أراده وبما هو من خلق العبد، بناء على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفاً بما لا يطلق، واعتقدوا أن ذلك ظلم = في الشاهد، فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلماً، والله تعالى مبرأ من الظلم، واعتقدوا أن ذلك ظلم في الشاهد، فلو ثبت في الغائب لكان كما هو في الشاهد ظلماً، والله تعالى مبرأ من الظلم، ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه أن يكون الله تعالى ظلاماً لعبيده تعالى الله عن ذلك؛ لأنّ الحق الذي قامت بصحته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلماً فنفوه، فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها لتبين للناس ما نزل إليهم، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والله الموفق للصواب.

قرئ نقول بالنون والياء. وعن سعيد بن جبير: يوم يقول الله لجهنم. وعن ابن مسعود والحسن: يقال وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر. نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل: ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم. وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول ولا يقدّر حذف المضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى[1] في القلب وتثنيته وفيه معنيان: أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى: ﴿لأملأنّ جهنم﴾ والثاني أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد. ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارًا للداخلين فيها واستبداعًا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبًا للزيادة غيظًا على العصاة. والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد وإما اسم مفعول كالمبيع.

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾.

﴿غير بعيد﴾ نصب على الظرف أي: مكانًا غير بعيد. أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي شيئًا غير بعيد ومعناه: التوكيد. كما تقول: هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل.

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾.

وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية و﴿لكل أوّاب﴾ بدل من قوله: للمتقين بتكرير الجرّ كقوله تعالى: ﴿الذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾[2] وهذا إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت. والأوّاب الرجاع إلى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى.

مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾.

و﴿من خشي﴾ بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلاً عن موصوف أوّاب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أوّاب وحفيظ لأنّ مَنْ لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم: ادخلوها بسلام، لأنّ من في معنى الجمع، ويجوز أن يكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنًا أحسن إلي وحذف حرف النداء للتقريب ﴿بالغيب﴾ حال من المفعول أي: خشيه وهو غائب لم يعرفه. وكونه معاقبًا لا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي: خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه. وقيل: في الخلوة حيث لا يراه أحد.

فإن قُلْتَ: كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة[3]؟ **قُلْتُ:** للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أنّ المخشي منه غالب ونحوه. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات. وصف القلب بالإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى لأنّ الاعتبار بما ثبت منها في القلب.

ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾.

يقال لهم: ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلمًا عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ﴿ذلك يوم الخلود﴾ أي: يوم تقدير الخلود، كقوله تعالى: ﴿فادخلوها خالدين﴾[4] أي: مقدّرين الخلود.

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾.

﴿ولدينا مزيد﴾ هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه، وقيل: إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور، فنقول نحن: المزيد الذي قال الله عز وجل: ﴿ولدينا مزيد﴾.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ

---

(1) قال أحمد: قد تقدّم إنكاري عليه إطلاق التخييل في غير ما موضع، والنكير ههنا أشدّ عليه، فإنّ إطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ وفي مثل قوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ وإنما أراد به حمل الأيدي على نوع من المجاز، فمعنى كلامه صحيح؛ لانا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي، فلا باس عليه في معنى إطلاقه، غير انا مخاطبون باجتناب الالفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى وإن كانت معانيها صحيحة، وأي إيهام أشدّ من إيهام لفظ التخييل، الا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل، في قوله: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ فلا يشك في وجوب اجتنابه، ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه ههنا، فنقول: هو منكر لفظاً ومعنى، أما اللفظ فقد تقدّم، وأما المعنى فلانا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه، وكيف نفرض وقد وردت الاخبار وتظاهرت على ذلك، منها هذا ومنها لجاج الجنة والنار، ومنها اشتكاؤها إلى ربها= فأذن لها في نفسين، وهذه وإن لم تكن نصوصاً فظواهر يجب حملها على حقائقها؛ لانا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع ولا مانع ههنا، فإن القدرة صالحة والعقل يجوّز، والظواهر قاضية بوقوع ما صوّره العقل، وقد وقع مثل هذا قطعاً في الدنيا، كتسليم الشجر وتسبيح الحصا في كف النبي ﷺ وفي يد أصحابه، ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظواهر في تفاصيل المقالة، لاتّسَعَ الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق، وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات، مما لم يجوّز العقل اعتقاد ظاهرها، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق، فاشدد يدك بما فصل في هذا الفصل، مما أرشدتك به إلى منهج القرب والوصل، والله الموفق.

(2) سورة الأعراف، الآية: 75.

(3) قال أحمد: ومن هذا الوادي بالغ رسول الله ﷺ في الثناء على صهيب، بقوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».

(4) سورة الزمر، الآية: 73.

هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾.

﴿فنقبوا﴾ وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوّخوا، والتنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب. قال الحرث بن حلزة:

نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: هم أشدّ منهم بطشًا أي: شدّة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه، ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصًا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم. والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض﴾[1] وقرئ بكسر القاف مخففة النقب وهو أن يتنقب خف البعير. قال: ما مسها من نقب ولا دبر. والمعنى: فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد ﴿هل من محيص﴾ من الله أو من الموت.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾.

﴿لمن كان له قلب﴾ أي: قلب واع لأنّ من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له. وإلقاء السمع الإصغاء ﴿وهو شهيد﴾ أي: حاضر بفطنته لأنّ من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب. وقد ملح الإمام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه:

ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاً ياذل سقي الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله أو وهو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾[2] وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه: لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن. وقيل: ألقى سمعه أو السمع منه اللغوب الإعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾.

قيل: نزلت في اليهود لعنت تكذيبًا لقولهم: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أوّلها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش. وقالوا: إنّ الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ.

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾.

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي: اليهود يأتون به من الكفر والتشبيه، وقيل: فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث، فإنّ من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: الصبر مأمور به في كل حال ﴿بحمد ربك﴾ حامدًا ربك والتسبيح محمول عل ظاهره أو على الصلاة فالصلاة ﴿قبل طلوع الشمس﴾ الفجر ﴿وقبل الغروب﴾ الظهر والعصر.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾.

﴿ومن الليل﴾ العشاءان وقيل: التهجد ﴿وأدبار السجود﴾ التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب. وروي عن النبي ﷺ: «مَن صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين»[3]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الوتر بعد العشاء، والأدبار جمع دبر. وقرئ: ﴿وأدبار﴾ من أدبرت الصلاة إذا انقضت تمت ومعناه ووقت انقضاء السجود. كقولهم: آتيك خفوق النجم.

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾.

﴿واستمع﴾ يعني: واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدّث عنه، كما يروي عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك». ثم حدّثه بعد ذلك.

فإن قُلْتَ: بم انتصب اليوم؟ **قُلْتُ:** بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور. ويوم يسمعون بدل من ﴿يوم ينادي﴾ و﴿المنادي﴾ إسرافيل ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرّقة إنّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر ﴿من كان قريب﴾ من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً وهي وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: أيتها العظام البالية.

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾.

و﴿الصيحة﴾ النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والمراد به: البعث والحشر للجزاء.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 2.

(2) سورة البقرة، الآية: 143.

(3) أخرجه عبد الرزاق في المصنف 3/70 (الحديث رقم: 4833)، وابن= = أبي شيبة 2/198 في كتاب: الجمعة، باب: في ثواب الركعتين لم يخرجه الزيلعي.

يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾.

قرئ: تشقق وتشقق بإدغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق. ﴿سراعًا﴾ حال من المجرور ﴿علينا يسير﴾ تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن. كما قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾[1].

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾.

﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿بجبار﴾ كقوله تعالى: ﴿بمسيطر﴾[2] حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داعٍ وباعث. وقيل: أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى: أجبره عليه. أي: ما أنت بوالٍ عليهم تجبرهم على الإيمان، وعلى بمنزلته في قولك: هو عليهم إذا كان واليهم ومالك أمرهم. ﴿من يخاف وعيد﴾ كقوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾[3] لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة قّ هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الذاريات مكية

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾.

﴿والذاريات﴾ الرياح لأنها تذرو التراب وغيره. قال الله تعالى: ﴿تذروه الرياح﴾. وقرئ: بإدغام التاء في الذال.

فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾.

﴿فالحاملات وقرًا﴾ السحاب لأنها تحمل المطر. وقرئ: وقرًا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع حملاً.

فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾.

﴿فالجاريات يسرًا﴾ الفلك ومعنى يسرًا: جريًا ذا يسر. أي: ذا سهولة.

فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾.

﴿فالمقسمات أمرًا﴾ الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك. وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال هو على المنبر: «سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكوّاء فقال: ما الذاريات ذروًا. قال: الرياح. قال: فالحاملات وقرًا. قال: السحاب. قال: فالجاريات يسرًا. قال: الفلك. قال: فالمقسمات أمرًا. قال: الملائكة»[5]. وكذا عن ابن عباس وعن الحسن: «المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد، وقد حملت على الكواكب السبعة»[6]. ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه، وتجري في الجوّ جريًا سهلاً، وتقسم الأمطار بتصريف الحساب.

فإن قُلْتَ: ما معنى الفاء على التفسيرين؟ **قُلْتُ:** أمّا على الأوّل فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه، فبالفلك التي تجري بها بهبوبها، فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه، وأمّا على الثاني فلأنها تبتدئ بالهبوب فتذروا التراب والحصباء، فتنقل السحاب فتجري في الجوّ باسطة له، فتقسم المطر.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾.

﴿إنما توعدون﴾ جواب القسم، وما موصولة أو مصدرية، والموعود البعث. ووعد صادق كعيشة راضية.

وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾.

والدين الجزاء. الواقع الحاصل.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾.

﴿الحبك﴾: الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح، وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره. قال زهير:

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والدرع محبوكة لأن خلقها مطرق طرائق. ويقال: إن خلقة السماء كذلك. وعن الحسن: حبكها نجومها. والمعنى: أنها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي، وقيل: حبكها صفاقتها وإحكامها، من قولهم فرس محبوك المعاقم أي: محكمها. وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا: ما أحسن حبكه! وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق. وقرئ: الحبك بوزن القفل، والحبك بوزن السلك، والحبك

---

(1) سورة لقمان، الآية: 28.

(2) سورة الغاشية، الآية: 22.

(3) سورة النازعات، الآية: 45.

(4) رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في التفسير وأخرجه الزيلعي 3/361.

(5) رواه الحاكم في المستدرك 2/466.

(6) رواه الطبراني في تفسيره.